وحدة الوجود والاتحاد في الفلسفات العلاجية المعاصرة

د. عبد الله عوض العجمي*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال لما سأله الأعراب: ألا نتداوى؟ قال: "نعم، يا عباد الله، تداووا؛ فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاء - أو قال: دواء - إلا داءً واحدًا"(١)، ولما كان المريض حال مرضه يبحث عن العلاج والدواء، ويتعلق بكل شيء طلبًا للشفاء، قيَّد الشارع تلك الرغبة وقصرها على الأسباب المشروعة، فليس كلُّ ما زُعِم أنه دواء وعلاج يصحُّ للمسلم التداوي به؛ ولهذا جاء في حديث أبي الدرداء (رضي الله عنه)، أن رسول الله (ﷺ) قال: "إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داءٍ دواءً، فتداووا، ولا تداووا بحرام"(٢).

وقد انتشرت في الآونة الأخيرة أساليب علاجيَّة وطرق للاستشفاء ظاهرها تمارين رياضيَّة وأنظمة غذائيَّة وتأملات ذهنيَّة، يزعم أصحابها ومعلِّموها ومدرِّبوها أنها أسهل وأسرع وأنجع الطرق للشفاء، بل بالغوا فيها فزعموا أنها سبب للراحة والسعادة الأبدية، والمتأمل فيها يجد أنها في الواقع على خلاف ما زعموا؛ فهي في حقيقتها طقوس واعتقادات دينية، يدرك المتخصِّصون في علم الأديان أصولها ومرجعها.

وهذه الأساليب والتطبيقات على الرغم من خطورتها ومصادمتها لمسلَّمات العقيدة الإسلاميَّة وأصول الدين الإسلامي، إلا أن ذلك لا يزال – وللأسف - يخفى على كثير من المتدربين والمبتدئين والمتعالجين، ولعل السبب الرئيس

* قسم العقيدة والدعوة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الكويت

في ذلك تلك المحاولات الحثيثة في إخفاء تلك المخالفات، والسعي في أسلمة تلك الممارسات والاستدلال لها بنصوص شرعية تُلوَى أعناقُها وتحرَّف معانيها لتُوافِق مُرادهم.

ويتفق أصحاب تلك المدارس والفلسفات على أن الغاية العظمى منها هي السعادة الأبديَّة والراحة المطلقة، والتي يعبرون عنها بتعبيرات مختلفة، إلا أن حقيقتها عند التحقيق واحدة، وهي الاتحاد بالمطلق، أو الاعتقاد بأن كلَّ ما في الوجود ليس إلا تعبيرات وتجلِّيات له، وهو ما يعرف بعقيدة الاتحاد ووحدة الوجود.

ولما كان الأمر بهذه الخطورة، والتي لازمها ذلك الانتشار الغريب لتلك الفلسفات والتطبيقات، انبعثت الهمَّة لبيان أخطر ما تتضمنه من عقائد، لتوضيح أصلها ومصدرها التي أخذت منه.

ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث، والذي عنونته بـ (الاتحاد ووحدة الوجود في الفلسفات العلاجية المعاصرة).

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، ثم خاتمة.

أما المقدمة فقد اشتملت على: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث.

وأما التمهيد فقد بيَّنت فيه معنى وحدة الوجود والاتحاد، والمراد بالفلسفات العلاجية المعاصرة.

وأما المباحث فهي كالتالي:

المبحث الأول: مصادر القول بوحدة الوجود والاتحاد

المبحث الثاني: وحدة الوجود والاتحاد في اليوغا

المبحث الثالث: وحدة الوجود والاتحاد في الماكروبيوتيك

المبحث الرابع: وحدة الوجود والاتحاد في الريكي

وأما الخاتمة، فأوردت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث.

التمهيد

أولًا: معنى وحدة الوجود:

الوَحدة في اللغة (بفتح الواو): الانفراد، والواحد: المنفرد بذاته في عدم المثل والنظير[٣].

والوجود: الثبوت والحصول، مصدر من وُجد الشيء، ويطلق الوجود على الظفر بالضالة وإدراك المطلوب، ويطلق – أيضًا - على الوصف الذي تشترك فيه الكائنات فيميزها عن المعدومات[٤].

أما في الاصطلاح فيراد بها تلك العقيدة الفلسفية التي لا يقرُّ أصحابها إلا بوجود واحد هو الله - في رأي البعض - وجميع ما عداه أعراض له، أو الطبيعة في رأي البعض الآخر.

والكلام في هذا البحث عن القسم الأول منهم؛ أولئك الذين يعتقدون أن الله والعالم شيء واحد؛ إذ لا موجود غيره، وكل ما في الكون مما سواه ليس إلا مظاهر صفاته وأسمائه؛ فالمخلوقات المختلفة وفق هذه العقيدة ليست إلا مظاهر يتجلى بها الله، والظاهر فيها جميعًا هو الله وحده.

ويرى أصحاب هذا الاعتقاد أن الإله كان وجودًا مطلقًا ثم ظهر في شكل المخلوقات، فيجعلون الإله هو عين جميع الموجودات، بل والمعدومات والممتنعات.

ثانيًا: معنى الاتحاد:

الاتحاد في اللغة: أن يصير المتعدد واحدًا، مصدر من اتَّحد يتَّحد، يقال: اتَّحد الشيئان أو الأشياء، أي صارت شيئًا واحدًا، ومادة (وحَّد) تدل - كما سبق - على الانفراد[٥].

وأما الاتحاد في اصطلاح من يعتقده، فهو اختلاط وامتزاج الخالق بالمخلوق حتى يكونا بعد الاتحاد ذاتًا واحدة[٦].

ثالثًا: المراد بالفلسفات العلاجية المعاصرة:

وأقصد بها تلك الفلسفات التي يزعم أصحابها أنها وسيلة من وسائل العلاج، وسبب من أسباب الراحة والسعادة الأبدية، وهي في حقيقتها طقوس وعقائد ترجع إلى أصول دينية شرقية؛ ومنها على سبيل المثال:

١- اليوغا.

٢- الماكروبيوتيك.

٣- الريكي.

وهذه الثلاث هي أشهرها وأكثرها انتشارًا؛ لذا سأقتصر عليها في هذا البحث.

المبحث الأول

مصادر القول بوحدة الوجود والاتحاد

أولًا: وحدة الوجود والاتحاد عند الهندوسية:

الهندوسية - وتسمى البراهمية[٧] - هي دين وثني يدين به الغالبية العظمى من أهل الهند، وهو عبارة عن مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر. وتتكون في أصلها من امتزاج عقيدتين: عقيدة الشعوب الآرية التي غزت الهند، وعقيدة أهل البلاد الأصليين.

يعتقد الهندوس بوجود إله عظيم هو رب العالمين؛ غير أنهم وصفوا هذا الإله بما يدل على أنه – عندهم - الوجود المطلق، والموجود الواحد، وأن ما سواه مظاهر له.

يقول سوامي فشنوديفندا: «الله وجود مطلق، ولا يوجد شيء بدونه»[٨]. وجاء في الأوبانيشاد أن الإله هو: «الظاهر عن كل شيء، وهو الروح المحيطة بكل هذا العالم، وهو أصل كل موجود، والكل سوف يرجع إليه، وجميع البشر يتنفسون ويعيشون بداخله»[٩].

والذي يظهر أن الهندوس تدرجوا حتى وصلوا إلى هذه العقيدة؛ ذلك أنهم كانوا يؤمنون بأن في العالم قوة عظيمة يلزم التقرب لها بالعبادة والقرابين، وكانت هذه القوة تسمى «براهما»، وفي مرحلة لاحقة لم تعد القرابين المادية ضرورية، بل حلَّ محلها مراقبات على ظواهر كونية تخيلها الناس ضحايا كالشمس والنار والهواء، وفي مرحلة ثالثة راقب الإنسان نفسه وتصورها قربانًا يوصل إلى براهما، وفي مرحلة رابعة تجردت المراقبات عن تصور القرابين، بل صار الناس يراقبون أنفسهم على أنهم القدرة الكامنة العالمية المؤثرة، ثم وصلوا من التمثل إلى العينية، واعتقدوا أن النفس الشخصية هي عين القوة الحيوية أو البراهما، فصار المفتكر والموضوع الخارجي شيئًا واحدًا.

وقد صوّر أستاذ هندي متخصص هذا الموضوع فقال: «خلقت الحياة هذه من الروح «Atman»، فالإنسان ليس جسمه أو حواسه؛ لأن هذه ليست إلا مركبة، وهي تتغير وتموت وتبلى؛ بل الإنسان هو الروح، وهي سرمدية أزلية أبدية مستمرة غير مخلوقة. وذكرت شروح الفيدا أن الإنسان من حيث روحه جاء على فطرة الله «Brahman»، وكما أن شرارة النار نار؛ فإن الإنسان من نوع الإله، وروحه لا تختلف عن الروح الأكبر إلا كما تختلف البذرة عن الشجرة، وعندما تجرد الروح من الظواهر المادية تبدأ رحلتها للعودة إلى الروح الأكبر؛ ولذلك يسمى تخلصها من الجسم «طريق العودة»، والإله في التفكير الهندي له صفات ثلاث: فهو براهما (خالق)، ووشنو (حافظ)، وسيفا (مهلك)؛ وهذه الصفات الإلهية الثلاثة كامنة في الإنسان، فهو يخلق الأفكار والأنظمة والمؤسسات، ويحافظ عليها، ويستطيع تدميرها ليعيد خلقها في شكل آخر»[١٠].

فعند الهندوس (براهما) هو الحقيقة الموجودة الوحيدة، وغيرها صادر عنه، وأعراض ومظاهر له، وقد قررت الكتب الهندوسية هذه العقيدة، ومن ذلك ما ورد في كتاب (الفيدانتا): «هذا الكون ليس إلا ظهورًا للوجود الحقيقي الأساسي، وإن الشمس والقمر وجميع جهات العالم، وجميع أرواح

الموجودات أجزاء لذلك الوجود المحيط المطلق. إن الحياة كلها أشكال لتلك القوة الوحيدة الأصلية، وإن الجبال والبحار والأنهار تُفجر من ذلك الروح المحيط المطلق الذي يستقر في سائر الأشياء»[١١].

وجاء في الأوبانيشاد: «إن النفس البشرية جاءت من (براهما)، فكما أن وجود الظل مرتبط بوجود الجسد، هكذا تكون النفس البشرية في النفس الكلية ... كل موجود هو (براهما) يأتي من (براهما)، ويرجع إلى (براهما). كل شيء يعتمد على (براهما)؛ ولهذا يجب أن تعبد (براهما) بسكينة»[١٢].

وهذا يعني أن الفلسفة الهندوسية تؤكد على اللاثنائية الجوهرية لله والروح والكون. وعلى الرغم من أن الديانة الهندوسية تفسح المجال للعديد من الآلهة الشعبية، إلا أنها تنظر إليها بوصفها تجليات متعددة للإله (براهما) يلبي من خلالها رغبات أتباعه.

جاء في الفصل السادس في الأوبانيشاد شرح المقالة الأوبانيشادية المشهورة: «تاتتفام أشي»؛ أي «أنت هو ذاك»، وأصل ذلك الحوار الذي كان بين الوالد الذي يسمى (أدالوك أروني)، وولده الذي كان يسمى (شفيتاكيتو). والحوار تضمن أمثلة عديدة في إثبات وحدة (براهما) والنفس البشرية، كما تضمن الحوار إثبات أن الوجود لا يمكن أن يأتي من لا وجود، فلابد أن يكون (براهما) هو مصدر المخلوقات، والمخلوقات منه خلقت وإليه تعود»[١٣].

إن نظرية وحدة الوجود - كما يراها الهندوس - تقول: إن الإله هو كل شيء تدركه الحواس، كل ما ينظر ويسمع ويشم ويذاق، أي أن الكون كما نراه هو الإله.

ولهذا يقول (باسديو) في الكتاب الهندوسي المعروف (الكيتا)[١٤]: «أما عند التحقيق فجميع الأشياء إلهية؛ لأن (بشن) جعل نفسه أرضًا يستقر الحيوان عليها، وجعلها ماءً ليغذيهم، وجعلها نارًا ليُنمّيهم ويُنشّئهم، وجعلها قلبًا لكل واحد منهم، ومنح الذكر والعلم وضديهما، على ما هو مذكور في الفيدا»[١٥].

ومثله قول صاحب كتاب (بلياس) في تعليل الأشياء بهذا وكأنه مأخوذ منه:

«إن الناس كلهم قوة إلهية، بها تعقل الأشياء بالذات وبغير الذات، كما سمي بالفارسية (خذا) بغير ذات، واشتُقَّ للإنسان من ذلك اسم»[١٦].

وجاء في كاثه أوبانيشاد: «إنه هو الموجود في كل شيء، فهو الشمس في الأعالي، وهو الآلهة التي تسمي بشوس، وهو ملجأ الجميع، وهو الهواء في الفضاء، وهو صاحب الأغنية عند القرابين، وهو برهمي الضيف، وهو شراب سوما، وهو الواحد الموجود في الإنسان، في كل شيء طيب، وفي السماء، وهو الذي ينبت في الأرض كالرز والقمح وغيرهما من الأشجار، وهو (ريتا) القانون الأبدي، وهو الذي يجري كالمجاري والأنهار، هذا الأتمان هو الأعلى، وهو ذات كل نفس»[١٧].

وفي كتاب منوسمرتي - كتاب الهندوس المقدس - يذكر أن الزاهد عليه أن ينصرف إلى التأمل العميق حتى يرى الروح الأعلى في كل ذرة من ذرات هذا الكون؛ رفيعها ووضيعها[١٨].

وهذا يعني أن الصوفي الهندوسي يترقى في التأمل حتى يصل إلى درجة يرى فيها أن الكائنات الدنسة وغير الدنسة هي الله (براهما).

ويغلو الهندوس في هذه العقيدة فيزعمون أن ما سبق ليس إلا نصف الحقيقة؛ ذلك أن ما تدركه الحواس - بما فيه ما ترصده التلسكوبات، وما تراه أقوى الميكروسكوبات، وما تسجله أدق آلات التسجيل - جزء متناهٍ في الضآلة والصغر من الكون. وهذا يعني أننا إذا قلنا: هذا الكون هو الله، فإننا إذن نكون كمن يقول: إن قلامة الظفر هي الإنسان، ومرادهم هنا أن الله يتجلى في كل ما يشمله هذا الكون، وفي ملايين أكثر منه، فالله حاضر في كل شيء ظهر أو خفي، خلق أو لم يخلق، عرف أو لم يعرف»[١٩].

وقد تقررت هذه العقائد عند الهندوس حتى جاءت واضحة في تقسيم كتاب (الفيدانتا)؛ إذ قُسِّم إلى أربعة أبواب:

الباب الأول: عبادة الإله.

الباب الثاني: وحدة الوجود.

الباب الثالث: طريقة حصول النجاة.

الباب الرابع: الاتحاد بالروح العليا[٢٠].

بل ينص أحد كُتَّابهم المشهورين على أن مبادئ الهندوسية الرئيسة أربعة؛ وهي: لا ثنائية الله، ألوهية الروح، وحدة الوجود، تناغم الأديان[٢١].

ويؤكد الهندوس على أن غاية الغايات في الحياة ليست أن يقدم المرء الخير لنفسه ولمجتمعه، ولا أن يحيا حياة خالية من الآلام والبلايا، ولكن غاية الغايات – عندهم - أن يستشعر وحدة الوجود، ويندمج في المطلق، ويفنى في الإله.

ولتقريب فكرة وحدة الوجود إلى الأذهان يضرب كهان الهندوس لذلك عدة أمثلة؛ منها:

١- ما ضربه (شفتياكيتو) لولده في الأوبانيشادات؛ وهو الملح في الماء، فمع أن الملح موجود إلا أننا لا نشاهده بأبصارنا، وكذلك - بزعمهم - الإله سارٍ في الكون مع أننا لا نشاهده.

٢- تدفق مياه الأمطار في الأنهار لتندمج أخيرًا مع مياه البحر حيث نشأت، كذلك تبلغ الروح الفردية الروح الكوني الأسمى الذي منه انبعثت، حيث تتحلحل كل عقد القلب كما يزعمون[٢٢].

٣- كما أن الأمواج تندمج في مياه البحر، هكذا الأرواح تندمج في الأصل[٢٣].

ثانيًا: وحدة الوجود والاتحاد عند الطاوية:

الطاوية هي أحد الأديان الوثنية التي نشأت في الصين، وقد كانت في بدايتها مدرسة فلسفية اعتمدت على فكر «لاو تزو Lao Tzu» الذي تضمنه كتابه «طاو طي جنغTao Te Jing»، وتلميذه «شوانغ تزو»، الذي قام بتطوير هذه المبادئ والأطروحات الفلسفية في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد[٢٤].

ويمكن القول بأن الطاوية هي مجموعة من المبادئ المشتقة من الفلسفة والديانة الصينية القديمة التي ظهرت في القرن الرابع قبل الميلاد، من بين كل المدارس العقلية التي عرفتها بلاد الصين.

وتعتبر الطاوية إحدى أكبر الديانات الصينية القديمة التي ما تزال حيَّة إلى اليوم، بل يمكن تصنيفها – قبل حكم الشيوعية – الديانة الثانية من حيث تأثيرها على المجتمع الصيني، بعد الكونفوشيوسية، وإن كانت أقدم منها[٢٥].

والمتأمل في كلام الطاويين عن حقيقة (الطاو) يتبين له قولهم بوحدة الوجود والاتحاد، فقد أشار (لاو تزو) في أكثر من موضع إلى أن على الإنسان التعايش حتى يصل إلى حالة التوحد مع (الطاو) العظيم للطبيعة؛ لأن (الطاو) يمثل الثوابت الكونية، وفي معرفتها يكمن الانتصار الإنساني في تحقيق الحكمة، وفي حصول الإنسان على رضى النفس والسلام الداخلي، وفي حالة جهلها تحل الكارثة على الإنسان والمجتمع.

يقول (لاو تزو):

«من يتبع الطريق في أعماله يصبح هو والطريق شيئًا واحدًا، ومن يهتدي بالفضيلة يصبح هو والفضيلة شيئًا واحدًا»[٢٦].

ومن أدعيتهم ومناجاتهم لـ(الطاو):

"يا طاو، يا عظيم، يا فيَّاض، يا موجود في كل الوجود
ليس هناك مخلوق لك ترفضه
إنهم جميعًا ينادونك
إنك تعطيهم الطعام والكساء جميعًا
دائمًا ليس هو شيئًا مفروضًا عليك
كل ما هو موجود فمنك
والناس جميعًا سوف يعودون إليك".

وأما «شوانغ تزو» فيضع جملة من الأسئلة محاولًا تقريب حقيقة الطاو فيقول: «في السماء حركة دائبة، وفي الأرض ثبات، هل يتنازع القمر والشمس

مجرييهما؟ من يحكم في هذه الأمور ويعمل على تنظيمها؟ من يحافظ على اتساقها وتناغمها؟ من بدون جهد يحفظها؟ هل هناك قوة خفية تجعلها على ما هي عليه؟ هل يتحتم على الأجرام السماوية أن تجري على هذا النحو ولا تستطيع غير ذلك؟ انظر إلى السحب كيف تُسقط مطرها، وإلى المطر كيف يرتفع ثانية فيصير سُحُبًا، مَن يحركها لتعطي خيرها؟ ومَن بدون جهد ابتدر هذا كله، ويعمل على دوامه؟ رياح تنطلق من الشمال وتهب غربية وشرقية، وأخرى تنطلق نحو الأعلى دون وجهة، أي أنفاس تحركها؟ ومَن بلا جهد يرفع هبوها؟ ما هي العلة؟».

والمقصود هنا بهذه الأسئلة أنه لا وجود لعلة خارجية لكل ما عدَّده من مظاهر حركة الكون والطبيعة؛ لأن العلة والمعلول وجهان لحقيقة واحدة هي الطاو، فالعمليات الطبيعية - كما يرى - لا تتطلب عنصرًا خارجيًّا فاعلًا، أو مبدًا متعاليًا مفارقًا يحركها عن بُعد، بل إنها تعمل وفق تلقائية كونية يتبادل من خلالها كل عناصر الكون الأثر والتأثير في سلسلة مترابطة لا يوجد بها علة ومعلول بالمعنى الدقيق للكلمة[٢٧].

ويعتقد الطاوية أن كل ما في هذا الوجود صور لشيء واحد ووجود كلي هو وحدة الحقيقة المطلقة، التي هي في الواقع (الطاو).

وهذه هي عقيدة وحدة الوجود؛ حيث تعد جميع الموجودات مظاهر وتجليات للحقيقة الكلية والمبدأ الأول، فالطاو هو المنتج للكون، والكون ليس إلا جزءًا منه متمثلًا بتفاعلات وتحولات بعض أجزائه.

ولا يمكن للطاوي أن يصل إلى غايته العظمى إلا بالاتحاد مع (الطاو)، فإذا تحققت الوحدة التامة بين الفرد و(الطاو)، وحصل اندماج بين الذاتين؛ فقد بلغ الطاوي أعلى المراتب عندهم، وبها تحصل السعادة والاستقرار.

جاء في كتاب الطاو: «من يتبع الطاو يكن واحدًا مع الطاو، متى ما تكون واحدًا مع الطاو يرحب بك الطاو»[٢٨].

غير أن الطاوي حتى يصل إلى هذه الغاية لابد أن يمر بعدة مراحل:

- المرحلة الأولى: يخلو فيها الفرد إلى نفسه، ويقطع كل علاقة بينه وبين العالم المحسوس.
- المرحلة الثانية: يتجرد فيها الإنسان عن الماديات حتى يصير روحًا خالصة.
- المرحلة الثالثة: مرحلة الإشراق حيث يدرك الإنسان فيها كل الحقائق المجردة إدراكًا مباشرًا لا وساطة فيه.
- المرحلة النهائية: هي الاتصال التام، أو الوحدة النهائية بين الفرد والقانون الأعظم (الطاو). وهي المرحلة التي يحصل فيها اندماج تام بين المتصوف الطاوي والذات العليا، بحيث تفنى الشخصيتان بعضهما في بعض، وتصيران شخصية واحدة[٢٩].

ثالثًا: وحدة الوجود في الفلسفة اليونانية:

اليونانيون أمة وثنية نشأ فيهم الشرك وتأليه مظاهر الطبيعة، وراجت بينهم الخرافات والأساطير، وقد ظهر فيهم فلاسفة بحثوا في أمور العقيدة بعقولهم وأهوائهم المجردة عن نور الوحي الإلهي، فَضَلُّوا في مسائل العقيدة بعامة، ولكن أعظم ضلال لهم إنما كان في مسائل الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، حتى اعتقد بعضهم وحدة الوجود.

وتتجلى هذه العقيدة عند اليونان في ثلاث فرق:

١- الأيونيون.

٢- الإيليون.

٣- الأفلاطونيون المُحدَثون.

أولًا: الأيونيون:

هم الفلاسفة اليونان الأوائل، الذين ظهروا في إقليم أيونيا اليوناني[٣٠].

فمن هؤلاء (طالس)، الذي يرى أن الماء هو الجوهر الأصلي، والمبدأ الأول الذي تتكون منه الأشياء، وهذا الماء له قوة وحياة دائمة، وبالتالي فإن العالم كله سوف تَنْبتُ فيه الحياة[٣١].

ثم جاء بعده (أنكسيمندر) فرأى كذلك أن هناك مبدًا أولًا واحدًا يرجع إليه هذا الكون، ولكنه قال: إنه مادة لا نهائية ولا معينة، هي مزيج من الأضداد جميعًا[٣٢].

أما تلميذه (أنكسيمانس)، فزعم أن المادة الأولى هي الهواء المنتشر في جميع أنحاء الوجود، والموجودات تحدث فيه بالتكاثف والتخلخل، فتخَلْخُل الهواء مثلًا يُنتج النار، وتكاثفه يُنتج التراب[٣٣].

ثم جاء (هرقليطس) فاعتقد أن النار هي المبدأ الأول الذي تصدر عنه الأشياء، وترجع إليه، وليست هي النار التي ندركها بحواسِنا، بل نار إلهية لطيفة للغاية. إنها نار أثيرية حيَّة عاقلة تتصف بأنها أزلية وأبدية، هذه النار – عنده – هي حياة العامل، والعقل الكلي فيه، وهي الإله[٣٤].

ثانيًا: الإيليون:

هم الفلاسفة الذين وجدوا في مدينة إليا الإيطالية.

وأول هؤلاء الفلاسفة هو (إكسينوفان) الذي آمن بوحدة الوجود، فادَّعى أن الأشياء جميعها عالم واحد، ودعا هذا العالم: الإله، فجمع بين الطبيعة والإله، وتحدَّث عن الإله حديثه عن الطبيعة، وتحدث عن الطبيعة بوصفها الإله[٣٥].

ثم أتى بعده (برمنيدس) الذي قصر بحثه على مسائل الوجود، فرأى أن الشيء الوحيد هو الوجود، وأما ما عداه فهو عدم، والعدم لا يمكن أن يُفهم، ولا يمكن التحدث عنه، ثم أضاف إلى الوجود صفات يُفهم منها أنه كان يقول بألوهيته، فهو واحد، قديم، ثابت، كامل، وهذه الصفات – عنده – لازمة من معنى الوجود، كما قرَّر أنه لا وجود إلا للكل، والكل واحد[٣٦].

أما تلميذه (زينون) فقد اعتنى بمسائل الوجود، وآمن بما آمن به (برمنديس)، وحاول إقامة الأدلة على مذهب أستاذه، ومن ذلك أنه أبطل الكثرة والحركة؛ تأكيدًا لمذهب أستاذه في وحدة الوجود وثباته[٣٧].

ثالثًا: الأفلاطونيون المحدثون:

الأفلاطونية المحدثة: هي اتجاه فلسفي يوناني حاول وضع فلسفة دينية قائمة على أصول أفلاطونية جامعة لعناصر من مذاهب مختلفة؛ يونانية وشرقية(٣٨).

وأشهر فلاسفة هذه الطائفة (أفلوطين)، بل هو أوسع الفلاسفة اليونان كلامًا في الإلهيات؛ ولهذا فإنني سأكتفي به ممثلًا لهذا الاتجاه.

يعتقد أفلوطين أن للكون ربًّا هو الموجود الأول، وهو مطلق بسيط، غير متناهٍ، لا يوصف بأي وصف ثبوتي؛ لأنه فوق الصفات وسابق عليها.

ويرى كذلك أن الوجود الحقيقي إنما هو لهذا الرب. أما الكون فهو ظل له.

ويزعم أن الكون وُجِد بفيض من الرَّب، من غير اختيار منه ولا إرادة، بل هو فيض اضطراري، كما يصدر الشعاع من الشمس.

ويعتقد أفلوطين أن الوجود كله – ابتداءً من الأول حتى آخر الأشياء – يُكوِّن وحدة تامة؛ وعلى هذا يمكن أن يُفهم مذهبه على أنه مذهب وحدة في الوجود؛ بمعنى أن الكثرة في الواحد، فهو يعتقد أن الوجود المحسوس مشتق وصادر عن وجود الأول أو الرب، وأن ما عدا الأول فهو عَرَض وليس بجوهر(٣٩).

ويرى أفلوطين أن مُنتهى كمال النفس الإنسانية الاستغراق في الواحد، والفناء فيه، ولا يصل الإنسان – عنده – إلى هذه الغاية إلا بالمجاهدة والتحرر من قيود الجسم.

فلا يزال المرء يتدرَّج في مقامات السلوك حتى يبلغ فيها مبلغًا كبيرًا يغيب فيه عن نفسه، وينخلع عن شعوره بذاته، ويصاب بما يشبه الصعق والمحق، فيفقد تعيُّنه وتشخصه، وتَسْقط عنه جميع الأغيار، ويفنى الكل في الكل، وتنطمس معالم الأشياء، حينها يصير –عنده – السالك والرُّب شيئًا واحدًا(٤٠).

المبحث الثاني

وحدة الوجود والاتحاد في اليوغا

اليوغا هي إحدى المدارس الست للفلسفة الهندية، تلك الفلسفات التي ظهرت في الهند بعد الأبنشدات[٤١] في عصر ازدهرت فيه الفلسفة وكل ألوان الثقافة انطلاقًا من النصوص الفيدية[٤٢] القديمة، ويطلق عليها في السنسكريتية «دَرْشنا drshana»، والمراد بها: رؤية أو منهج أو وجهة نظر، إشارةً إلى وجهات نظر فلسفية مختلفة، قد يكون التناقض ظاهرًا بينها أحيانًا، إلا أنها تمثل جوانب متكاملة ووجهات نظر لنفس الحقيقة.

يوضح ذلك - كما يقولون - أن المعرفة المكتسبة أثناء حالة الحلم تختلف عن المعرفة حال اليقظة، وهذه بدورها تختلف عن حالة التنوير، كذلك المعرفة الفلسفية تتناسب مع مستويات وعي اليقظة الذي يفرض على الإنسان إدراك الأمور من وجهات نظر نسبية[٤٣].

وتتميز هذه المدارس بارتباطها الوثيق بأسفار الفيدا، والانطلاق من هذه الأسفار شرحًا وتأويلًا، بل وإضافات في الآراء والأحكام، إنها بعبارة أوضح: استمرار تطوير للفكر الفيدي.

ومن جهة أخرى، فقد صاغت هذه المدارس آراءها في شكل أقوال مكثفة (سوترا sutra)[٤٤]، أصبحت فيما بعد هي ذاتها منبعًا لأدب شرحي غزير وضروري لفهمها، كما أصبحت تلك الأقوال المكثفة وسائل شفهية لتعليم الراهب (غورو)[٤٥] والمريد أو الطالب.

هذا يعني أن تلك الأقوال صدرت من أناس مختلفين، وتطورت عبر عصور متتابعة؛ مما يجعل القول بنسبتها إلى شخص معين أمرًا من الصعوبة بمكان، غير أنه يمكن لنا معرفة منظميها لا مؤلفيها[٤٦] .

تجدر الإشارة هنا إلى أن هدف تلك المدارس هو توصيل الإنسان إلى التخلص من حالات وعيه المحدودة ليكتشف حقيقة الأشياء والوجود؛ إذ

تحتوي كل منها على نظرية فلسفية تتضمن سبلًا عملية للوصول إلى خلاص - تحرر - الروح من الجهل؛ والمراد به: استعادة الذات لوحدتها الطبيعية التي تطرد الشر والخطأ.

واليوغا في الواقع كلمة سنسكريتية تعني: «التوحيد، دلالة على توحُّد الذات الفردية بالذات الكوني»[٤٧]، أو بعبارة أخرى: «ربط الذات المحدودة بالذات غير المحدود، ودمج وعي الروح الفردية والذات المطلق»[٤٨]، ولهذا يقول الرائي الكبير - كما يسمونه -باتنجالي: «اليوغ هو كبح العمليات الفكرية، حينئذٍ يتثبت الرائي في ذاته الحقيقي»[٤٩].

والمراد بالذات الحقيقي – عندهم – هو: وعي محض، وعي صاف مطلق، شاهد ثابت ودائم لا محدود، يتسامى فوق الوجود الجسدي والفكري مهما اختلفت تسمياته، فهذا الذات مشترك بين كل الأشياء في الوجود، وهو نبع محبة ورحمة وحياة وخلق، فإن ما كان يبحث عنه الكثيرون في العالم الخارجي، فالطريق إلى اكتشافه هو الغوص في أعماق ذاتنا[٥٠].

ومن هنا فكلمة «يوغا» تعني: جمع وضم، جمع الروح الفردية (jiva) وجوهرها المطلق (purush).

ويضربون لذلك مثالًا بتدفق مياه الأمطار في الأنهار لتندمج أخيرًا مع مياه البحر من حيث نشأت، كذلك تبلغ الروح الفردية الروح الكوني الأسمى الذي منه انبعثت، وحيث تتحلحل كل عقد القلب[٥١].

وحقيقة اليوغا هي: مجموعة من التمارين الروحية والجسدية تُمارس بهدف الخروج من عالم الظواهر والتعددية إلى الوحدة المطلقة والذوبان فيها[٥٢].

جاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا: «اليوغا لفظ سنسكريتي معناه الاتحاد، ويطلق على الرياضة الصوفية التي يمارسها حكماء الهند في سبيل الاتحاد بالروح الكونية»[٥٣].

وهذا يعني أن اليوغا ليست رياضة جسدية فحسب - كما يظن البعض- بل فيها ما يتصل بالروح؛ إذ هي طريقة مبتدعة للاتحاد والاتصال بالله.

ويعترف اليوغيون بأن للأوضاع اليوغية الأثر الملموس والقيِّم في تنمية الشخصية الفكرية والروحية والجسدية، فيما للتمارين الرياضية البدنية البحتة أثر جسدي على العضلات والعظام فقط، ثم يُنبِّه أولئك على أن بعض الناس قد يظن خطأً بأن الأوضاع اليوغية هي مجرد تمارين للجسد ولا علاقة لها أو نفع في المسيرة الروحية. وهذا مفهوم خاطئ كليًّا؛ فالأوضاع هي ضرورة ملحة للطامح الروحي لإيقاظ قدراته النفسية(٥٤).

ومن هنا فاليوغا «رياضة جسدية نفسية فكرية، فيها يخضع الإنسان جسده بوظائفه الإرادية طبعًا، واللاإرادية بالسيطرة العصبية إلى محض إرادته، وبواسطتها تتصل روحه بروح الرب مسيّر الكون العظيم، فهي إذن صلة الوصل بين الإنسان وخالقه»(٥٥).

ويرى اليوغيون أن الهدف الأسمى لكل روح فردية هو بلوغ الاتحاد بالروح الأسمى، هذه الدرجة التي من بلغها لا يعود إلى درجات أُخر. وهذا يعني توقف كل الآلام، واكتساب الغبطة اللامحدودة والسلام الأسمى؛ حيث لا حاجة ولا توق؛ لأنها حالة كمال ووفرة(٥٦).

ومعنى هذا أن الممارسة المنتظمة لتلك الأوضاع والحركات تُشعر الممارس بتبدل مرهف في طريقة مقاربته للحياة؛ لأن إراحة الجسم وشدَّه بانتظام وتهدئة الفكر يسببان شعورًا بالسلام الداخلي الذي هو طبيعة الإنسان الحقيقية، فالمراد من اليوغا إدراك حقيقة الذات التي نطمح إليها بوعي منا أو بغير وعي، والتي ننمو باتجاهها بشكل تدريجي تصاعدي، فإذا استطاع الإنسان التوصل إلى ضبط الفكر، فلن تكون له حدود ومحددات؛ لأن الأوهام والرغبات والتحيزات والآراء والأحكام هي التي تعوق النمو، وتمنع من إدراك الذات(٥٧).

يقول باتنجالي: «إن ستارًا يخفي الحقيقة ندعوه الوهم أو الصورة الخادعة، وهو يحدد النفس الفردية في مفهوم أنا فردية (jiva) إلى حين زوال هذا الستار، فتدرك عندها تماثلها مع الروح المطلق»(٥٨) وهدف اليوغا - كما

يزعمون - هو إزاحة هذا الستار.

ولذا فليس هدف اليوغا مجرد التخلي عن اللذة، بل هو بلوغ لذة اللذات في الذات المطلق، فيعرف اليوغي أنه لو وضعت كل ملذات العوالم الثلاثة أمامه فهو يفضل عليها ولو كمية ضئيلة جدًّا من غبطة آتمن[٥٩] السامية، فالإنسان الذي يتخلى عن الملذات الحسية من أجل اليوغا هو لبيب حقًّا، وهو كمن يرمي قطعة نقود مزورة ليحصل على قطعة ذهبية، ويعرف بأنه يتخلى عن شيء زهيد، ويربح جوهرة الغبطة السامية[٦٠].

ذلك أن هذا العالم - في اعتقادهم - ليس فيه إلا الألم والمنغصات والمكدرات، يقول باتنجالي: «للذي يملك القدرة على التمييز: ليس هذا العالم إلا ألمًا»[٦١]. وهذا ما يجعل الناس يبحثون عن السعادة، ويسعون إلى الحصول على السعادة الدائمة، تلك السعادة والغبطة هي ثمرة اليوغا - كما يظنون.

ويعتقد حكماؤهم أنهم قد حصلوا عليها؛ ولهذا يرسلون نداءاتهم لأتباعهم «استيقظوا أيها الفانون واستمعوا إلى رسالتنا: لقد وجدنا هذ المقام الأبدي الذي به يمكنكم التنعم بالغبطة الخالدة، أبلغوا هذه الحالة التي وصلنا إليها». هذا هو نداء حكماء الأبنشاد: «هناك بحر لا مُتَناهٍ من الغبطة المطلقة، لقد ملأنا ذواتنا منها. أيها الناس الذين يكدحون، يمكنكم الحصول على هذا الاختيار حيث تزول كل الآلام»[٦٢].

ويرون أن هذه السعادة نشوة إلهية لا يمكن التعبير عنها؛ إذ هي الثمرة النهائية لحالة الوعي الأسمى التي يبلغها اليوغي من خلال تدرجه في مراحل اليوغا.

يؤيد ما ذكرنا أن اليوغا قد ذكرت في عدة مواضع من الكيتا[٦٣]، من أهمها النشيد السادس المعنون له بـ: الاتحاد بالله ورياضة الروح، أو الاتحاد عبر التأمُّل، ومما ذكر فيه:

«فإذا استغرق المرء في اليوغا مسيطرًا على عقله وحسِّه، فقد أدرك السلم الأعلى والسعادة السُّميا المنبثقين مني».

«وليتحد اليوغي مع الذات العليا، وليخْلُ بنفسه منعزلًا وحيدًا».

«اليوغا هي الاتحاد والفناء العلويان».

«من فنا في اليوغا رأى نفسه في جميع الموجودات، ورأى الوجود جميعًا في نفسه، وحمل كل شيء محملًا واحدًا»(٦٤).

وأما عن كيفية وصولهم إلى هذا الهدف، فيذكر أصحاب اليوغا أن هناك نقطة مشتركة بين كل الممارسات اليوغية، وهي جريان الطاقة الحيوية (البرانا prana)، ويعرفونها بأنها: شكل مرهف من الطاقة موجودة في الهواء والطعام والماء ونور الشمس، وهي التي تُحرِّك كل أشكال المادة، واختلفوا في أصلها على قولين:

١- أن البرانا متولدة عن براهمان، وأنها وجود منبثق من عدم.

٢- أنها أزلية بلا بداية ولا نهاية، وهي موجودة قبل الوجود.

وعلى كلا القولين فهي ليست شيئًا مخلوقًا، فوجودها إما متولد من العدم دون وعي أو إرادة، أو هو وجود غير مسبوق بعدم أصلًا؛ مما يزيد الأمر خطورة، ويزداد تعمقًا في الشرك.

ومن خلال ممارسة الأوضاع اليوغية وتمارين ضبط النفس، يمتص المُريد كمية كبيرة من الطاقة الحيوية؛ مما يجعل جسمه أكثر قوة وحيوية، ويزعم اليوغيون - أيضًا - أن الإنسان يملك بالإضافة إلى جسده المادي جسدين آخرين:

الأول: الجسد الأثيري، وهو مؤلف من الوظائف المرهفة؛ مثل: الفكر والعاطفة والذاكرة والحواس.

الثاني: الجسد المسبب، وهو المكون من الأثرة (أنا) الفردية، والذي هو أصل وجود كيان فردي منعزل.

والطاقة الحيوية هي الصلة الأساسية بين الجسد الأثيري والجسد المادي، وهي تجري أساسًا في مسالك (nadi) الجسد المرهف.

وتنقسم هذه الطاقة إلى قسمين رئيسين:

الأول: الطاقة الحيوية الموجبة (prana)، وهي دفع مورد من الطرف إلى المركز، وطبيعتها الانتقال من الأسفل إلى الأعلى.

الثاني: الطاقة الحيوية السالبة (apana)، وهي عكسها، وتنتقل باتجاه الأسفل.

وقد يلتقي الاثنان - أحيانًا- وهو ممكن فقط عند التوقف الطبيعي للنفس، وعنده تستيقظ الطاقة الملتفة الكونية (كونداليني kundalini)[٦٥] في دائرة قاعدة الجذر[٦٦].

ويتكون الجسد المرهف (الأثيري) من مجموعة من التركيبات غير المرئية تتشكل على هيئة شبكة من المسالك (نادي nadi) يصل عددها حسب زعمهم إلى ٣٥٠,٠٠٠ مسلك (نادي).

وتختص هذه المسالك بالسماح للطاقة بالتجول لدعم الأصل الحيوي وتغذيته وتحريكه، ومن بين تلك المسالك التي تغذي الجسد الأثيري ثلاثة أساسية؛ وهي:

١- السوشمنا (sushumna): ويمتد من قاعدة الجذر وحتى الرأس، ومحله العمود الفقري، ولونه أبيض، وله لمعان الماس، ورمزه: نهر سرسوتي (sarsvati)، وهو نهر الجنة.

٢- إيدا (ida): ولونه أصفر، ويبعث نورًا كنور القمر، ورمزه: نهر الغانج (ganga).

٣- بنغالا (pingala): ولونه أحمر، ويشع كالشمس، ورمزه: نهر اليُمنا (yamuna).

وتلتف الطاقة الكونية (البرانا) من خلال الإيدا والبنغالا في جميع الأوقات التي ينهمك فيها الإنسان في النشاطات الدنيوية المختلفة، ولكن الهدف الأسمى الذي يسعى اليوغي له هو تنشيط مسلك السوشمنا، وذلك أن الإيدا والبنغالا تُبقيان الإنسان تحت تأثير الزمان والمكان أثناء عملها. أما مسلك السوشمنا، فتنشيطه يجعل المرء يتعدى حدود الفكر والزمان؛ ولذا كان هو أهم

المسالك حتى سمي بمسلك براهما أو الطريق نحو الخالق[٦٧].

وأما عن طريقة تنشيطه فيذكر اليوغيون أن كلًّا من مسلك إيدا وبنغالا يوصلان إلى قاعدة سوشمنا؛ حيث ترقد نار شبه خامدة تشتعل بفضل الممارسة اليوغية، وتوقظ الملتفة (كونداليني kundalini)، وهي طاقة إلهية تشبه الحية الأنثى في قاعدة الجذر، وتنطلق عندما تستيقظ نحو الأعلى من خلال سوشمنا حتى تصل إلى الرأس، فتخترق الدوائر واحدة تلو الأخرى، فتزهر اللوتس الكامنة في كل منها، ويرى اليوغي مع كل دائرة شكلًا ولونًا يرتبطان برؤًى إلهية مختلفة، وتصل هذه الطاقة أخيرًا إلى الدائرة في أعلى الرأس، فتتحرر الروح[٦٨].

وأما عن حقيقة هذه الدوائر، فإن المسلك الثاني والثالث يلتفان حول الأول، ويلتقيان معه ست مرات في نقاط أو دوائر تدعى كل منها (شاكرا chakra)[٦٩].

وتمثل هذه الدوائر عندهم مراكز روحية للطاقة في الجسد المرهف (الأثيري)، وقد اختلفوا في عددها، وأكثرهم على أنها سبع دوائر (شاكرات)، تتحرك هذه الدوائر على شكل عجلات لدى إيقاظها من خلال مرور (الكونداليني kundalini) عبرها، وتمتد ستٌّ من هذه الدوائر على طول السوشمنا. أما السابعة فهي عند قمة الرأس، وتتميز كل دائرة بلون معين، وشكل معين، وعناصر معينة.

ويزعم الحكيم راما كرشنا أن الحياة الروحية تبدأ عند بلوغ الكونداليني المركز الرابع المتواجد في القلب، وفيه يرى المريد نورًا إلهيًّا يعمُّ الكون وكل الكائنات، فيصرخ من الفرح ويبتهج. وهذا هو أول مراحل استيقاظ الروح، وعندما تصل الكونداليني إلى مستوى الحلق يختفي الجهل بكامله، ولا يستطيع الإنسان الاستماع أو التكلم إلا في موضوع الله، وإذا وصلت إلى دائرة ما بين الحاجبين، فإن الإنسان يتمتع ليلًا ونهارًا بجوار إلهي، غير أنه يحتفظ برواسب من الأثرة (الأنا)، وعندها يجن من الفرح، ويحاول أن يذوب في هذا

الوجود الإلهي محاولة مَن يسعى إلى لمس نور القنديل فيفشل بسبب زجاجة المانع (الأثرة). أما عندما تصل الطاقة الإلهية إلى قمة الرأس؛ فإن اليوغي يحقق الاتحاد التام بالمطلق، ويغيب عن وعي العالم الخارجي؛ لدرجة أنه يكون غير قادر على تغذية نفسه[٧٠].

ومما سبق يظهر لنا أن الإنسان في مفهوم اليوغيين يكون الوعي لديه على قدر يقظة هذه المراكز السبعة، فكلما صعدت الكونداليني بلغ اليوغي مستويات أعمق من السمادهي (الاستغراق والكشف)، ولا تطور روحي ما لم تلتهب هذه الطاقة الكونية (الكونداليني)، وما لم تفتح المراكز السبعة الأساسية. ومَن لم يعش هذه التجربة تبقَ الحياة الروحية سرابًا مبنيًّا على نظريات وراثية.

وأما قولهم بوحدة الوجود، فيظهر ذلك إذا عرفنا أن اليوغيين يتفقون على القول بأن الله كلي الوجود، وأنه هو الأساس الكلي للخلق، غير أنهم يرون أن هذه الخليقة ليست سوى تعبير مكثف عنه، كما أن الماء تعبير مكثف عن البخار، وهذا يعني – عندهم - أن كل ما يدرك هو الله؛ كل أزواج الأضداد هي الله: الخير والشر، النهار والليل، كلها تعبيرات عن هذا الوعي الواحد الأحد اللاثنائي؛ وبالتالي فإن الله هو هذه الحقيقة الواحدة، وهو موفق ومصدر كل الأضداد فيما هو يتجاوز مفهوم الثنائية، فهو نسبي ومطلق: بأشكال وأسماء فيما هو بلا شكل أو اسم[٧١].

ويقرر أتباع اليوغا أنه يمكن لليوغي رؤية الله بأكثر من طريق؛ أما الطريق الأول: فهو رؤية الله في ذات المريد بعد الترقي في التأمل وزوال (الأنا)، ويزعمون أن من رأى الله في ذاته فإنه يراه في كل مكان، ومن قال: إنه الله لكنه ينكر هذا الشيء عند الآخرين؛ فإنه لا يعرف الله البتة كما يزعمون؛ إذ إنه لو رأى الله في ذاته لرآه في كل العالم[٧٢].

والطريق الثاني: رؤيته في سائر المخلوقات، جاء في نشيد المولى: "هكذا وصفت نفسك لي أيها الرب العلي، وأود لو أرى شكلك المهيب يا أسمى

روح .. قال المولى المجيد: انظر يا ابن برتها إلى المئات والألوف من أشكالي الإلهية المتنوعة والمختلفة الألوان والهيئات، انظر إلى آلهة الشموس، وآلهة النور، وآلهة التدمير، وآلهة الأنفاس الحيوية، وآلهة الرياح، انظر يا سليل بهراتا إلى هذه البدائع العديدة التي لم تُرَ من قبلُ، انظر الآن يا قاهر النوم إلى الكون المجتمع بأسره في جسدي هذا بما فيه من متحرك وساكن وكل ما ترغب في رؤيته، لكنك لن تتمكن من رؤيتي بعينيك هاتين، أعطيك عينًا إلهية[٧٣]؛ فانظر إلى قدرتي العظيمة"[٧٤].

ثم يقول بعد ذلك: "هذا الفضاء بين الأرض والسماء مشبع بك وحدك، وبرؤية شكلك المدهش الفظيع هذا تهتز العوالم الثلاثة. أيها الروح العظيم .. أنت الإله الأول، الروح الأزلي، المثوى الأسمى لهذا العالم. أنت العارف والمعروف، والملجأ الأسمى يا ذا الشكل اللامحدود النافذ في الكون"[٧٥].

والطريق الثالث: رؤيته على شكله الحقيقي – كما يزعمون – أو ما يسمونه الكيان الأسمى.

جاء – أيضًا – في نشيد المولى: "قال المولى المجيد: نعمة مني لك يا أرجنا أن أريك بقدرتي الكيان الأسمى، نور على نور، الكل، الأول، اللامتناهي، الكوني، والذي لم يره أحد من قبلك"[٧٦].

ويبين لنا نشيد المولى طريق تلك الرؤية بقوله: "لا الكتب المقدسة، ولا التقشفات، ولا الصدقات، ولا القرابين تمكنك من رؤياي كما قد رأيت، بالحب غير المشرك وحده يا أرجُنا يمكن معرفة شكلي هذا، ورؤياي على حقيقتي، والغور فيَّ يا مرهق الأعداء"[٧٧].

ومما سبق يمكن القول بأن خلاصة تعاليم اليوغا إجمالًا تشير إلى أن الإنسان يستطيع أن ينمو عقله إلى درجة تمكنه من إدراك أن الله في كل الحياة، وأنه حاضر في كل شيء ظاهر أو خفي، خلق أو لم يخلق، عرف أو لم يعرف.

ويبالغ الحكيم راما شاركا في ذلك، ويقرر أن الجنانا يوغا أكثر من وحدة الوجود، ذلك أن نظرية وحدة الوجود تقول: إن الله هو كل شيء تدركه

الحواس، كل ما ينظر ويسمع ويلمس ويشم ويذاق، أي أن الكون كما نراه هو الله، بينما الجنانا يوغا تقول: إن هذا نصف الحقيقة فقط، فما تدركه الحواس – بما فيه ما ترصده التلسكوبات، وما تراه أقوى الميكروسكوبات، وما تسجله أدق آلات التسجيل – جزءٌ مُتناهٍ في الضآلة والصغر من الكون. وهذا يعني أننا إذا قلنا: هذا الكون هو الله، فإننا إذن نكون كمن يقول: إن قلامة الظفر هو الإنسان.

فهو يقرر أن الجنانا يوغا ليس في تعاليمها أن الكون هو الله؛ ولكنها تقول: إن الله يتجلى في كل ما يشمله هذا الكون، وفي ملايين أكثر منه، فالله حاضر في كل شيء ظهر أو خفي، خلق أو لم يخلق، عرف أو لم يعرف[٧٨].

والواقع أنهم يتجاوزون ذلك ويعتقدون أن الله هو كل الخاصيات المتعارضة فيما هو خالٍ من تلك الخاصيات؛ وذلك لأنه حتى يكون كل الخاصيات لابد أن يكون خاليًا منها، فاتصافه بأي خاصية محددة مميزة دون نقيضتها يتعارض مع كونه كلي الوجود. وهذا ما جعلهم يعتقدون أن قولهم: إن الله كل شيء، يلزم منه عكسه، وهو أنه لا شيء، ولهذا قالوا: إن الله هو كل شيء، وهو أيضًا لا شيء[٧٩].

وهذه العقيدة بعينها هي عقيدة الهندوس؛ إذ يعتقدون أن (براهما) هو الإله الواحد، وهو الحقيقة الكلية، ونفس العالم، وأن جميع الأشياء الأخرى ليست سوى أعراض ومظاهر له[٨٠].

المبحث الثالث

وحدة الوجود والاتحاد في الماكروبيوتيك

الماكروبيوتيك كلمة يونانية مكونة من ثلاثة أجزاء: (ماكرو) وتعني الكبير الشامل الذي لا يعترضه شيء، و(بيو) تعني: الحياة، و(تيك) تعني: طريقة العيش، والمراد بها ذلك النظام الذي يتحكم ويتصرف في الكون والحياة بكل أنماطها؛ إذ هو الكبير الشامل الذي لا يعترضه شيء.

تقوم فلسفة (الماكروبيوتيك) على الاعتقاد بأن التغذية هي الوسيلة المثلى لتحقيق أهداف البشرية الصحية والروحية، يقول مؤسس النظام الماكروبيوتيكي

جورج أوساو: «إن هدفي في إصدار هذا الكتيب أن أدلك على طريقة اغتذاء واختيار أطعمة ستقودك في آخر الأمر إلى الحقيقة والسعادة الأبدية»[٨١].

ومن هنا يتضح جليًّا أن الغرض من هذا التصحيح الغذائي يتعدى الجوانب الصحية والنفسية إلى أهداف فلسفية تصوفية بعيدة المدى مستقاة من العقائد الشرقية؛ حيث يشكل هذا النمط الغذائي المبدأ الأساس لأهم الأديان الشرقية، وهو تحديث لأنظمة قديمة كان يراد منها تحصيل الخلود والحياة المديدة؛ ولذلك فإن اختزال هذا النظام في كونه حمية غذائية يراد منها تحقيق الصحة والشفاء من الأمراض – كما يُروَّج له – هو تجاهل للهدف الأساس للماكروبيوتيك[٨٢].

وهذا يعني أن «الماكروبيوتيك» ليس مجرد نظام غذائي خاص لمعالجة الأمراض الجسدية فحسب، بل يتعدى ذلك إلى معانٍ فلسفية؛ إذ الهدف منه في الحقيقة هو التغيير الدائم للوصول إلى العالم اللامتناهي، وفهم العملية اللانهائية لتطور الحياة التي تتغير دائمًا وأبدًا، وتخطي البعد الكلي لهذا الكون اللانهائي، وبعبارة أخرى: فهم سُلَّم الحياة بأعمق وأعلى ما يمكن من الوعي اللامحدود[٨٣].

وللماكروبيوتيك شروط سبعة حتى يحقق لصاحبه الصحة والسعادة، غير أن المتأمل في هذه الشروط يجد أنها مبنية على فلسفات وحدة الوجود والاتحاد والتناسخ.

وتوضيح ذلك أن النزعة إلى العدالة والسعادة التي تتحقق باتباع هذا النظام، والتي يطلق عليها (الساتوري، أو المبدأ الفريد، أو بلوغ العالم اللامتناهي، أو الاتحاد)، وذلك بالانسجام والتناغم مع شريعة الكون، فالذين فهموا كامل العدالة قد وصلوا إلى مرحلة (الساتوري)؛ إذ إن العدالة والصحة وملكة التميز الأعلى هي التوحُّد اللانهائية (الساتوري).

يقول صاحب دليل الماكروبيوتيك: "تكمن سعادة الإنسان الحقيقية في استكشاف المرء بدقة لطبيعة موطنه: الطور السابع اللامتناهي، وفي أن يعرف

معرفة واضحة معنى الأحدية، وأن يعيش تجربة الحقيقة القائلة بأن الروح هي واحدة، وأن الأشياء كلها في هذا العالم غير قابلة للتقسيم، على الرغم من حقيقة أن البشر يبدون في الظاهر منفصلين الواحد عن الآخر، وأنهم مؤلفون من بلايين وبلايين الخلايا. هنا يكمن معنى الوحدة، مفهوم هوية البشرية جمعاء وتوحيد العالم برمته. ما إن يبلغ المرء هذه النقطة حتى لا يعود قادرًا على تمييز الآخرين، ولا يعود هناك من ثم أي فصل، فالجميع في العالم كله باتوا موحدين مجدَّدًا في الواحد الأحد، ولم يعد هناك أي وجود لمصطلح «الآخرون» ..."[٨٤].

وفلسفة الماكروبيوتيك تشبه إلى حدٍّ ما نظام اليوغا من جهة أن كليهما يهدف إلى تربية الإرادة والنفس للوصول إلى تأليه الذات البشرية، ومن ثم الوصول إلى النزعة الإنسانية التي بها تكون السعادة الحقيقية الأبدية، وهي اتحاد العالم كله بالمطلق. وهذا ما يقرره جورج أوساو بقوله: "إن طريقة الأكل تشبه نظام اليوغا الهندوسية عندما تقودنا إلى شفاء الآخرين، والطريقة الوحيدة ليحقق المرء إنسانيته هي أن يكون حرًّا وسعيدًا، ويتمتع بالصحة، ويقوم بمساعدة الآخرين على شفاء أنفسهم. واتباع طريقة الأكل الصحيحة ليصبحوا رجالًا ونساءً أصحاء وسعداء وأحرارًا؛ ففي هذه وحدها تكون حياتك تجلِّيًا للحرية اللامتناهية، والسعادة الأبدية، والاستقامة المطلقة. ستشعر بالحب اللامتناهي نحو كل الناس، وستكون سعيدًا في أي مكان وزمان ..."[٨٥].

وفلسفة ذلك أن من المتقرر عندهم كون الطاقة الكونية (تشي Chi) متغلغلة في كل ما في الوجود، وفي جميع جوانب الحياة، وهي جميعها مصادر لها، غير أن من الصعب أو المستحيل التحكم بهذه الطاقة الموجودة في البيئة أو المناخ أو الهواء؛ ذلك أنها خارجة عن سيطرة الإنسان. ومن هنا يظهر لنا أهمية الطعام لكونه المصدر الذي يمكن للإنسان التحكم به، فاختيار أنواعه والتنويع فيما بينها - بحسب فلسفة الـ (ين يانغ)، وبعد تقييم حالة الإنسان وتصنيفه وفقًا

للـ (ين يانغ) - كل ذلك يساعد في تحقيق التوازن الطاقي، والانسجام مع الكون.

وتعتبر فلسفة الـ (ين يانغ) الطاوية إحدى الصور المعبرة عن مذهب وحدة الوجود؛ ذلك أن الطاوية قد مزجت بين فلسفة (الطاو) وفلسفة (الين يانغ)، وإلى هاتين الفلسفتين يرجع تفسير الطاوية للوجود؛ إذ يعتقد الطاويون كما جاء في كتاب (لاو تزو) أن (الطاو) الذي هو الواحد الأزلي، هو مصدر الكون ومبدؤه، وعنه تولدت الثنائية المتمثلة بـ (الين يانغ)، ومن هذه الثنائية تولَّد كل ما في الوجود؛ حيث يقول (لاو تزو):

«الطاو تنسل الواحد، الواحد ينسل الاثنين، الاثنان تنسل الثلاثة، الثلاثة تنسل العشرة آلاف شيء، العشرة آلاف شيء تحمل (الين) وتحتضن (اليانغ)، وتحقق انسجامها بالدمج بين هاتين القوتين»[٨٦].

وبيان ذلك أن (الين) و(اليانغ) يمثلان في الفكر الصيني الوحدة فيما وراء ثنائيتهما الظاهرة، فاليانغ يمثل العنصر الإيجابي الفعال القادر على إنتاج أي شيء، وهو يرمز إلى العنصر السماوي الذكوري المتحرك المتمثل في: الشمس، والضوء، والحرارة، والحياة. أما الين فهو يمثل العنصر المنفعل الساكن السلبي والأنثوي، ويتمثل في: القمر، الأرض، الظلمة، البرودة، والموت. فكل حقائق الوجود الكونية والطبيعية والاجتماعية والإنسانية تعود في النتيجة إلى تعارض أو اتحاد عنصر الذكورة (اليانغ)، وهو الموجب الحامل للحركة مع عنصر الأنوثة (الين)، وهو السالب الساكن المتلقي لفعل الحركة؛ أي المستجيب بردة فعل على حركة (اليانغ)، ففي (اليانغ) و(الين) يتوافر التناسق والانسجام في كل الوجود والموجودات[٨٧].

فالكون كلُّه مظاهر وتجلِّيات للين يانغ، التي هي نفسها مظاهر وتجليات للمبدأ الأول (الطاو)؛ مما يعني أن (الطاو) و(الين يانغ) وكل ما في هذا الوجود صور لشيء واحد، ووجود كلي هو وحدة الحقيقة المطلقة.

وهذا ما نصَّ عليه جورج أوساو بقوله: "إن عالمنا ووجودنا والحياة ليست إلا شرارة أطلقها احتكاك نشاطي (ين ويانغ) من قلب الـ (طايجي) ... ثم ينتهي كل ذلك في اتحاد جديد، إلا أن وجودنا الروحي لا ينفك عن الوجود. إنه (طايجي) نفسه ونحن الكائنات. لسنا سوى واحد. وهنا تكمن ذهنية الإيمان"[٨٨].

ومن هنا فالوجود عندهم واحد، والهدف الأسمى والسعادة الأبدية الحقيقية لا تتحقق إلا بالاتحاد مع المطلق وبلوغ الطور السابع اللامتناهي.

المبحث الرابع

وحدة الوجود والاتحاد في الريكي

الريكي من أشهر طرق العلاج بالطاقة في هذا الزمان، وأصل كلمة الريكي ياباني مكوَّن من شقين: (ري Rei) بمعنى: الروح الكونية، و(كي Ki) بمعنى: الطاقة الحياتية، وهذا يعني أن الريكي: طاقة الحياة التي تديرها الروح الكونية[٨٩].

وتنسب هذه الطريقة إلى د. ميكاو يوسوي، الذي عاش في اليابان في القرن التاسع عشر، غير أن أصولها مستمدة من الفلسفة الشرقية القديمة[٩٠].

وتقوم فلسفة الريكي على الاعتقاد بوجود الطاقة الكونية والجسم الأثيري[٩١] المحيط بالجسم المادي، وما يتصل به من منافذ محددة للطاقة في الجسم تسمى (شاكرات)[٩٢]، ويفسر المرض في هذه الفلسفة باختلال توازن الطاقة في جسم الإنسان، والشفاء يكون من خلال استعادة توازن الطاقات والعناصر الخمسة[٩٣] في الجسم، ويحصل الخلل في توازن الطاقة لعدة أسباب؛ أهمها: الأفعال السلبية التي يقوم بها الإنسان، فيبدأ المرض في المستويات الأعمق من العقل قبل أن تظهر أعراضه على البدن[٩٤].

والمراد بالطاقة هنا: الطاقة الكونية، والتي تسمى عند الطاوية (تشي Chi)، وترتبط هذه الطاقة ارتباطًا وثيقًا بعقيدتهم في الوجود والخلق، فهي المرحلة

الأولية من مراحل نشأة الكون عندهم، وهي الواحد المتولد عن (الطاو)، والتي انفصلت بدورها وتمايزت إلى الـ (ين يانغ)، ومن خلال تفاعلات الـ (ين يانغ) ومن بعدها العناصر الخمسة، ظهر الكون إلى الوجود(٩٥).

ويعتقد الطاوية أن الطاقة الكونية تسري في جميع أشكال الحياة، فالحياة عند التحقيق – كما يعتقدون – هي نتيجة لتكثف الطاقة، وأما الموت فهو نتيجة لقلتها أو انفصالها عن الجسد. وحسب هذه الفلسفة، فإن طول الحياة وقصرها مرتبط بالمخزون الطاقي، فإذا كان فقدان الطاقة هو سبب الوفاة؛ فإن من الضروري لتحقيق حياة أطول استجلاب الطاقة من مصادرها الأصلية وتوازنها في الجسم من خلال منافذها المحددة.

ولعل هذا ما يفسر لنا سعي الطاويين إلى الخلود؛ إذ الإنسان ليس إلا مظهرًا من مظاهر الطاقة، ولما كانت الطاقة خالدة كان بإمكان الإنسان التوصل إلى الخلود، كما أن الطاقة تمكن الإنسان من الاتحاد بـ (الطاو)، وبذلك يمكن للبشر العودة إلى الأبدية.

ويقرر الطاويون أن للطاقة قدرات خاصة على العلاج، فمن خلال التمكن من استقطابها وتوجيهها تتحقق القدرة على الإشفاء، كما تعدُّ وفرة الطاقة في الجسم البشري دليلًا على الصحة والنشاط. أما المريض فهو قليل الطاقة وضعيفها؛ ولذلك على الإنسان الذي يسعى للشفاء – في اعتقاد الطاوية ومن وافقهم – أن يستجلب الطاقة الكونية إلى جسمه، ويهيّئ مساراتها ومنافذها حتى تكون فاعلة، كما يمكن للإنسان المُعافَى أن يُعالِج غيره من خلال نقل الطاقة الزائدة في جسمه إلى جسم المريض بطرق خاصة، كوضع يد المعافى على العضو المصاب في المريض(٩٦).

وكما سبق، فإذا كانت الطاقة هي الواحد المتولد عن الـ (طاو)، وهي صورة من صوره، فكل ما في الكون هو تلك الطاقة (تشي)؛ وهذا ما يجعلهم يعتقدون أن جوهر آلهتهم هو – أيضًا - (تشي)، وهي ليست إلا تجسيدًا للـ

(طاو) المطلق، كما تعتبر الطاقة هي الحقيقة المطلقة، وتعتبر المادة طاقة مكثفة[٩٧].

وعند التحقيق، هم يعتقدون بإمكانية اكتساب كميات كبيرة من الطاقة الكونية عبر الاتصال بالذات الإلهية - كما يزعمون - حيث يعتقد بعضهم بأن الطاقة هي الـ (أنا العليا)، ومن ثم يمكن الارتقاء بالوعي الإنساني حتى تتواصل خلاياه بالطاقة الكونية، فتصبح خلايا كونية غير منعزلة وغير محدودة، فيدرك عندها الإنسان أن كل ما في الوجود هو مظاهر لشيء واحد[٩٨].

وأما الشاكرات فهي مراكز الطاقة الروحية الكونية التي توجد في الجسد الأثيري، ولها مراكز مماثلة في الجسم تعرف بشبكات الأعصاب.

وينسب للشاكرات وظائف كثيرة؛ منها:

١- تنشيط الأجسام الأثيرية؛ ومن ثم الجسم المادي.

٢- إيصال الإنسان إلى مراحل متقدمة من الوعي.

٣- نقل الطاقة بين طبقات الهالة أو الأجسام الأثيرية[٩٩].

وتعتبر المنافذ التي من خلالها يتم مرور الطاقة إلى الجسم؛ وبالتالي فهي تعد من الوسائل الموصلة إلى اندماج الذات الفردية مع الذات الكونية أو الروح المطلقة أو (الإله)؛ ذلك أن التركيز عليها مع التأمل يهيئ الإنسان لمرحلة الاتحاد، فلا يعود المريد مقيَّدًا بالزمان ولا بالمكان، كما أن القوة الراقدة في أسفل الشاكرات – في اعتقادهم - ترتفع بشكل إرادي عبر المسلك المخصص لها لتندمج مع الكون الكلي عند وصولها للشاكرا العلوية[١٠٠].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أصحاب هذه الفلسفة يعتقدون بوجود أجسام لطيفة غير مرئية إلى جانب الجسم المادي[١٠١]، تعرف بالأجسام السبعة أو الهالة الطاقيّة، وهي الرابط بين الطاقة الكونية (تشي) وبين الجسم المادي المحسوس. وتعتبر هذه الأجسام هي القناة التي من خلالها يتم التدرج بالوعي حتى يصل الإنسان إلى حالة (تسمى عندهم الطبقة السادسة) يدرك معها أن كل

ما في الوجود هو من تجليات المطلق، فإذا توصل إلى الطبقة السابعة أدرك أنه متوحد مع المطلق أو الإله. وهذه هي وظيفة الجسمين العلويين. والجسم الطاقي هو موضع الإحساس بالفرح والألم، وينحل هذا الجسم فقط عندما يصل الفرد إلى درجة التحرر الكاملة أو الوحدة الكاملة، فلا يعود الإنسان يحس بشيء منها - كما يعتقدون[١٠٢].

مما سبق، يظهر لنا جليًّا تضمُّن تطبيقات الريكي لعقيدتي الاتحاد ووحدة الوجود، وقد جاء ذلك مصرَّحًا به في كلام معلِّميهم؛ ومن ذلك قول ديفيد إف: "نحن نعيش في عالم من المتناقضات: الخير والشر، النور والظلام، الداخل والخارج، الغنى والفقر، أنا والآخر، وفي هذا الصدد، فإن جوهر الريكي يهدف إلى محاولة السمو فوق كل هذه المتناقضات، والوصول لحالة من الكمال المتوازن والشمولية والاندماج مع كل هذه الأشياء؛ بحيث تزول كل الحواجز بينك وبين الآخر"[١٠٣].

وفي موضع آخر يقرر ذلك ويضرب له مثالًا بحبة المطر بالنسبة للمحيط، لهما نفس الطبيعة، وفي النهاية يمتزجان معًا ويصبحان شيئًا واحدًا[١٠٤].

وأما مها نمور – أشهر مُدرِّبي الريكي العرب - فهي أكثر صراحة؛ إذ تنصُّ على أن الهدف الحقيقي من ممارسة الريكي هو دمج العقل والجسد والنفس في مفهوم الريكي حتى يصل المرء إلى مرحلة الإشراق، كما تهدف إلى تطوير الوعي بالطاقة، وإدراك الواقع الطبيعي للذات والكون، وأنهم جميعًا يُشكِّلون وحدةً كونية، وفقدان هوية الكيان الفردي المركزة على الذاتية، وتعتقد أن الريكي يتوصل إلى هذه الأهداف من خلال الاستشفاء؛ إذ المرض ليس إلا نتيجة الانفصال عن الإله، والشفاء لا يكون إلا بالاتصال به[١٠٥].

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها:

١. وحدة الوجود هي تلك العقيدة التي يزعم أصحابها أن الله والعالم شيء واحد، وأنه هو الوجود المطلق، وما في الكون من مخلوقات ليست إلا مظاهر يتجلى بها الله.

٢. الاتحاد هو اعتقاد اختلاط وامتزاج الخالق بالمخلوق حتى يكونا بعد الاتحاد ذاتًا واحدة.

٣. اعتقاد الهندوس بوحدة الوجود، ووصفهم للإله بأنه الوجود المطلق، وأن ما سواه مظاهر له، ونفيهم لثنائية الوجود، وزعمهم أن هذه العقيدة هي غاية الغايات.

٤. يعتقد الطاوية أن كل ما في هذا الوجود صور لشيء واحد، ووجود كلي هو وحدة الحقيقة المطلقة التي هي في الواقع (الطاو)، ويعتبر الاتحاد به هو غايتهم العظمى.

٥. بحث اليونانيون في أمور العقيدة بعقولهم وأهوائهم المجردة عن نور الوحي الإلهي، فَضَلُّوا في مسائل العقيدة بعامة، ولكن أعظم ضلال لهم كان في مسائل الإلهيات حتى اعتقد بعضهم وحدة الوجود.

٦. يعتقد اليوغيُّون أن الهدف الأسمى لكل روح فردية هو بلوغ الاتحاد بالروح الأسمى، هذه الدرجة التي من بلغها لا يعود إلى درجات أُخر.

٧. يمكن لليوغي الوصول إلى هذا الهدف من خلال تنشيط جريان الطاقة الحيوية (البرانا prana) من خلال مسالك الطاقة ومراكزها (شاكرا chakra) في الجسد الأثيري.

٨. يوافق أصحاب اليوغا الهندوس في قولهم: إن الله كلي الوجود، وإنه هو الأساس الكلي للخلق، غير أنهم يرون أن هذه الخليقة ليست سوى تعبير مُكثَّف عنه. وهذه هي حقيقة وحدة الوجود عندهم.

٩. فلسفة الماكروبيوتيك تشبه إلى حدٍّ ما نظام اليوغا، فكلاهما يهدف إلى تربية الإرادة والنفس للوصول إلى تأليه الذات البشرية؛ ومن ثم الوصول إلى النزعة الإنسانية التي بها تكون السعادة الحقيقية الأبدية؛ وهي اتحاد العالم كله بالمطلق.

١٠. تعتمد فلسفة الماكروبيوتيك على الطاقة الكونية (تشي Chi)، والعمل على تحقيق توازنها في الجسم للوصول إلى مرحلة الانسجام مع الكون، والتي بها تتحقق السعادة الأبدية، وذلك وفقًا لفلسفة الـ (ين يانغ).

١١. يؤدي القول بالـ (ين يانغ) إلى القول بوحدة الوجود؛ فالكون كلُّه - في اعتقادهم - مظاهر وتجليات للين يانغ، التي هي نفسها مظاهر وتجليات للمبدأ الأول.

١٢. من خلال نظام الريكي يمكن الارتقاء بالوعي الإنساني حتى تتواصل خلاياه بالطاقة الكونية، فيدرك عندها أن كل ما في الوجود هو مظاهر لشيء واحد.

١٣. تعتبر الشاكرات الوسائل الموصلة إلى اندماج الذات الفردية مع الذات الكونية أو الروح المطلقة أو (الإله)، ويؤدي التركيز عليها والتأمل إلى مرحلة الاتحاد.

١٤. كما تعتبر الأجسام السبعة هي القناة التي من خلالها يتم التدرج بالوعي حتى يصل الإنسان إلى حالة يدرك معها أن كل ما في الوجود هو من تجليات المطلق.

١٥. ما زال القول بهذه العقائد موجودًا عند معاصريهم بالتصريح تارة وبالتلميح أخرى.

١٦. خطورة تلك الممارسات التي تشتمل على هذه العقائد الباطلة المخالفة لأصول دين الإسلام الذي بعث الله به أنبياءه ورسله.

فهرس المصادر والمراجع

- أديان العالم، د. هوستن سميث، ترجمة: سعد رستم، دار الجسور الثقافية، حلب، الطبعة الثالثة (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
- أديان الهند الكبرى، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (١٩٨٤م).
- الأديان في اليابان بين الماضي والمستقبل، أمين ماكوتوميزوتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
- الأوبانيشاد، ترجمة: عبد السلام زيان، دار الشمس، القاهرة، الطبعة الأولى (٢٠٠٨م).
- الباجافادجيتا، ترجمة: رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار، سوريا، الطبعة الثانية (٢٠٠٥م).
- تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة السادسة (بدون تاريخ).
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، لأبي الريحان البيروني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند (١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م).
- التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، د. هيفاء الرشيد، الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
- التعريفات، للجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت (١٩٨٥م).
- الحكمة الهندوسية (معتقدات وفلسفات ونصوص) ـ حلقة الدراسات الهندية: ريما صعب، جورج حلو، روبير كفوري، دار نوفل، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٨م).
- دعوة إلى الصحة والسعادة، جورج أوساو، دار الخيال، لبنان، الطبعة الأولى (٢٠٠٣م).

- دليل الماكروبيوتيك إلى الحياة السعيدة، جورج أوساو، إعداد: يوسف البدر، شركة المطبوعات للنشر، لبنان، الطبعة الثالثة (٢٠٠٢م).
- سر النجاح في ممارسة اليوغا، هكذا تكلم الحكماء، حلقة الدراسات الهندية، دار نوفل، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٩م).
- الطاوية، محمد نمر المدني، دار دمشق، الطبعة الأولى (٢٠١٠م).
- فصول في أديان الهند، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار البخاري، المدينة المنورة، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).
- الفكر الشرقي مقدمة في فكر آسيا الفلسفي والديني، د. يونجشوون كيم، ترجمة: د. طلعت مراد بدر، و د. حميد علي مفتاح، منشورات جامعة عمر المختار، ليبيا، الطبعة الأولى (١٩٩٧م).
- فلسفة الماكروبيوتيك، د. نجاح الظهار، مكتبة الرشد، الرياض (١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م).
- الفلسفة اليونانية، د. محمد عبد الرحمن مرحبا، مؤسسة عز الدين، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م).
- فلسفة راجا يوغا، للحكيم راما شاركا، ترجمة: حسن حسين، دار بيبليون، باريس (٢٠٠٥م).
- الفلسفة في الهند، د. عليزيعور، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).
- الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة، د. عمر عبد الحي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ – ١٩٩٩م).
- الفيدانتا، ترجمة: إحسان حقي، دار اليقظة للتأليف والنشر (بدون تاريخ).
- القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الفكر، بيروت (١٤٠٣هـ).
- الكامل في اليوغا، سوامي فشنوديفانندا، توزيع معرض الشرف الدائم للكتاب (بدون معلومات).

- كتاب الطاو (الطاو – طي – جنغ)، لاو تزو، ترجمة: فراس السواح، دار علاء الدين، دمشق، الطبعة الثانية (٢٠٠٠م).
- الكيتا، ترجمة: د. ماكنشوردي، مراجعة: د. محمد حبيب أحمد، دار بيبليون، لبنان (٢٠٠٧م).
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ).
- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، الرئاسة العامة لشئون الحرمين، مكة.
- مجموعة الرحمن، ترجمة: جورج حلو، ريما صعب، روبير كفوري، حلقة الدراسات الهندية، دار نوفل، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٧م).
- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، بيروت (١٩٧٩م).
- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس القزويني، تحقيق: د. عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية.
- مقارنة الأديان، د. محمد الخطيب، دار المسيرة، الأردن، الطبعة الثانية (٢٠٠٩م- ١٤٣٠هـ).
- الملل والنحل، للشهرستاني، وذيله لمحمد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، (بدون معلومات).
- منوسمرتي (كتاب الهندوس المقدس)، ترجمة: إحسان حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والنشر (بدون تاريخ).
- موسوعة الفلسفة، د. عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٨٤م).
- موسوعة تاريخ الأديان، فراس السواح، دار علاء الدين، دمشق، الطبعة الأولى (٢٠٠٦م).
- نشيد المولى، ترجمة: جورج حلو، ريما صعب، روبير كفوري، حلقة

الدراسات الهندية، دار نوفل، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٨م).
- هكذا تكلم الحكماء، حلقة الدراسات الهندية، دار نوفل، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٩م).
- الهندوسية، سوامي نيخيلانادا، ترجمة: د. نبيل محسن، ورد للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى (٢٠٠٠م).
- اليوغ الفكري والحكم اليوغية، للحكيم باتنجالي، حلقة الدراسات الهندية، دار نوفل، بيروت.
- اليوغا سيطرة على النفس والجسد، ج. تونـدريودب. رئال، مكتبة المعارف، لبنان، الطبعة الثانية (١٤٢٠ هـ).
- الريكي، للمبتدئين، ديفيد إففينلس، مكتبة جرير، الرياض، الطبعة الأولى (٢٠٠٥م).
- الريكي، جمان السيد، دار الخيال، بيروت، الطبعة الأولى (٢٠٠٧م).
- الشفاء بالطاقة الحيوية، د. أحمد توفيق، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى (٢٠٠٦م).
- حركة العصر الجديد، د. هيفاء الرشيد، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، السعودية، الطبعة الأولى (٢٠١٤م).
- الوجوه الأربعة للطاقة، د. رفاه وجمان السيد، دار الخيال، بيروت، الطبعة الأولى (٢٠٠٤م).

الهوامش والإحالات :

(١) رواه أبو داود في سننه (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨).
(٢) رواه أبو داود في سننه (٣٨٧٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/١٠).
(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢٣١/١٥)، معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٩٠/٦).
(٤) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢٢٥/١٥)، القاموس المحيط، للفيروزآبادي (٣٤٣/١).
(٥) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢٣٢/١٥)، القاموس المحيط، للفيروزآبادي (٣٤٣/١).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣٨٦/٢)، التعريفات، للجرجاني (ص٦).

(٧) أو البرهمية، أطلق عليها هذا الاسم ابتداءً من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى (براهما). انظر: مقارنة الأديان، د. محمد الخطيب (ص٣٩٥).

(٨) هكذا تكلم الحكماء (ص٢٠٤)، وانظر: نشيد المولى (ص١١٥).

(٩) الأوبانيشاد (ص٧٣).

(١٠) الحياة في رأي الآريين محمد علي حافظ (ثقافة الهند) ـ سبتمبر سنة ١٩٥٠ (ص١٣٣-١٣٤) نقلًا عن: أديان الهند الكبرى، د. أحمد شلبي (ص٦٥).

(١١) الفيدانتا (ص٤١-٤٢).

(١٢) الأوبانيشاد (ص٥٨).

(١٣) انظر: الأوبانيشاد (ص٨٢).

(١٤) من أهم الكتب الهندوسية، وكان له أثر عميق في التفكير الهندي، وهو يشتمل على تعليمات ونصائح ألقاها البطل الهندوسي «كرشنا» أمام قائد الجيش «آرجن».

(١٥) الكيتا (ص٧٧).

(١٦) تحقيق ما للهند من مقولة (ص٣١).

(١٧) الأوبانيشاد (ص٥٦).

(١٨) انظر: منوسمرتي (ص٧٠٢).

(١٩) انظر: فلسفة راجا يوغا (ص٢٠٣-٢٠٤).

(٢٠) انظر: فصول في أديان الهند، د. محمد الأعظمي (ص٤٥-٤٦).

(٢١) انظر: الهندوسية تحضيرها لانعتاق الروح، سوامي نيخيلاناندا (ص٢٣).

(٢٢) اليوغ الفكري والحكم اليوغية (ص١٠٧)، حلقة الدراسات الهندية.

(٢٣) انظر: الفلسفة في الهند، د. علي زيعور (ص١٣١).

(٢٤) انظر: أديان العالم، د. هوستن سميث (ص٣٠٦)، الطاوية، محمد نمر المدني (ص١٧).

(٢٥) انظر: الأديان في اليابان بين الماضي والمستقبل، أمينماكوتوميزوتاني (ص١٥٩).

(٢٦) كتاب الطاو (ص٢٣).

(٢٧) انظر: موسوعة تاريخ الأديان، فراس السوَّاح (٢٤٨/٤).

(٢٨) كتاب الطاو (ص٧٢).

(٢٩) انظر: ذيل الملل والنحل، محمد الكيلاني (ص٢٧-٢٨).

(٣٠) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، محمد مرحبا (ص٤٥).

(٣١) انظر: المرجع السابق (ص٤٥)، وموسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي (٢٧٦/١).

(٣٢) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (ص١٦).

(٣٣) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، محمد مرحبا (ص٥٦)، موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي (٢٧٩/١).

(٣٤) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (ص١٧)، موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي (٥٣٣/٢).

(٣٥) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، محمد مرحبا (ص٧٩).

(٣٦) انظر: موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي (٢٦٩/١).

(٣٧) انظر: المرجع السابق (٢٧١/١).

(٣٨) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (ص٢٨٥)، وتاريخ الفلسفة اليونانية، محمد مرحبا (ص٣١٧).

(٣٩) انظر: موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي (٢٠١/١).

(٤٠) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (ص٢٩٠)، وتاريخ الفلسفة اليونانية، محمد مرحبا (ص٣٣٧).

(٤١) أو الأوبانيشاد، وترجمتها الحرفية: الجلوس عند الشيخ لتلقي العلم، وهي أسفار تفسيرية للفيدات.

(٤٢) الفيدا معناه: العلم، وقد كان يطلق لفظ الفيدا على جميع الكتب الهندوسية: «سنهتا» و«براهمان» و«آرنك» و«أوبانيشاد»، ثم خص لفظ «فيدا» بأربعة كتب؛ وهي: «ريج فيدا» و«ياجور فيدا» و«سآم فيدا» و«آتورالفيدا»، ويعتبر الفيدا من أهم الكتب الهندوسية المقدسة، بل هو أقدم المصادر العلمية التي يعتمد عليها في تاريخ الديانات الهندية، ومع ذلك فهي ليست من النصوص الهندية الأصيلة، بل إنها من تراث الآريين الغزاة، وهي سجل لكل ما يتعلق بهم من عادات وطقوس وأخلاق وقوانين.

(٤٣) انظر: الحكمة الهندوسية (ص١٢٧)، حلقة الدراسات الهندية.

(٤٤) وهي حكم قصيرة سهلة الحفظ تحتوي على مفاهيم فلسفية تهدف إلى تبديد ظلمات الجهل كما يزعمون.

(٤٥) وتعني: الشخص الذي يزيل الظلمة، والمراد بها: المعلِّم.

(٤٦) انظر: الفلسفة في الهند. د. علي زيعور (ص٣٢٨).

(٤٧) الحكمة الهندوسية (ص١٤٣)، حلقة الدراسات الهندية.

(٤٨) اليوغ الفكري والحكم اليوغية (ص١٠٧)، حلقة الدراسات الهندية.

(٤٩) الحكم اليوغية للرائي الكبير باتنجالي ضمن المرجع السابق (ص١١٤).

(٥٠) انظر الشرح على حكم باتنجالي، المرجع السابق (ص١١٤).

(٥١) اليوغ الفكري والحكم اليوغية (ص١٠٧)، حلقة الدراسات الهندية.

(٥٢) الحكمة الهندوسية (ص١٤٦)، حلقة الدراسات الهندية.

(٥٣) المعجم الفلسفي، لجميل صليبا (٢/٥٩٠).

(٥٤) انظر: سر النجاح في ممارسة اليوغ (ص١٣، ١٤)، حلقة الدراسات الهندية.

(٥٥) اليوغا سيطرة على النفس والجسد، ج. توندريو وب. رئال (ص١١). ومع تعريفهما هذا لليوغا إلا أنهما وغيرهما أنكرا كونها فلسفة، وهذا في الحقيقة مخالف للواقع، كما أنه مخالف لما دلت عليه مراجع الهنود أنفسهم، كما سبق بيانه في التمهيد.

(٥٦) انظر: اليوغ الفكري والحكم اليوغية (ص١٠٧-١٠٨)، حلقة الدراسات الهندية.

(٥٧) سر النجاح في ممارسة اليوغ (ص٧)، حلقة الدراسات الهندية.

(٥٨) اليوغ الفكري والحكم اليوغية (ص٤٣)، حلقة الدراسات الهندية.

(٥٩) الآتمن (Atman): هو الذات المطلق، والجوهر الأساسي في كل الكائنات، وهو الساكن غير المتأثر بتقلبات الطبيعة، وتأخذ هذه الكلمة أحيانًا معنى الروح أو النفس بمفهومها العام.

(٦٠) اليوغ الفكري والحكم اليوغية (ص١٩-٢٠)، حلقة الدراسات الهندية.

(٦١) المرجع السابق (ص١٠٧).

(٦٢) المرجع السابق (ص١٠٧).

(٦٣) من أهم الكتب الهندوسية، وكان له أثر عميق في التفكير الهندي، وهو يشتمل على تعليمات ونصائح ألقاها البطل الهندوسي «كرشنا» أمام قائد الجيش «آرجن».

(٦٤) الكيتا ترجمة د. ماكنشودري (ص٦٥-٦٨)، وانظر ـ أيضًا ـ الكتاب الهندي المقدس الباجافادجيتا، ترجمة: رعد جواد (ص٨٦-٨ ٨).

(٦٥) وهي تعني الملتفة، ويراد بها: طاقة كامنة وساكنة في الأحوال العادية يتصورها المرء ملتفة بشكل أفعى.

(٦٦) أحد منافذ الطاقة في الجسم في اعتقاد اليوغيين.

(٦٧) انظر: الكامل في اليوغا، سوامي فشنوديفانندا (ص٣٣٤).

(٦٨) انظر: الحكمة الهندوسية (ص١٤٩-١٥٠)، حلقة الدراسات الهندية.

(٦٩) وأصل هذه الكلمة في اللغة السنسكريتية: العجلة، وذلك لأنها تدور عند مرور الطاقة فيها كما سيأتي.

(٧٠) انظر: مجموعة الرحمن (ص١٤)، حلقة الدراسات الهندية.

(٧١) انظر على سبيل المثال: ملحق كتاب سر النجاح في ممارسة اليوغا (ص ٢٩٥).

(٧٢) انظر: المرجع السابق (ص ١٨٧).

(٧٣) والمراد هنا: عين الحكمة التي تفتح باليوغا وبنعمة المولى.

(٧٤) نشيد المولى (ص ١٠٥ – ١٠٦)، حلقة الدراسات الهندية.

(٧٥) المرجع السابق (ص ١٠٩ – ١١٢).

(٧٦) المرجع السابق (ص ١١٤).

(٧٧) المرجع السابق (ص ١١٥).

(٧٨) انظر: فلسفة راجا يوغا (ص ٢٠٣ – ٢٠٤).

(٧٩) انظر: الملحق الثاني لكتاب سر النجاح في ممارسة اليوغا (ص ٢٩٥)، حلقة الدراسات الهندية.

(٨٠) انظر: الفلسفة في الهند، د. علي زيعور (ص ٣٣٣)، الفكر الشرقي، د. يونجشوون كيم (ص ٢٩ – ٣٠)، وقد سبق بيانها وتفصيلها في المبحث الأول.

(٨١) دعوة إلى الصحة والسعادة، جورج أوساو (ص١٤).

(٨٢) انظر: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء، د. هيفاء الرشيد (ص٣٤٠).

(٨٣) انظر: دليل الماكروبيوتيك إلى الحياة السعيدة، جورج أوساو (ص١١١)، فلسفة الماكروبيوتيك، د. نجاح الظهار (ص٢٠).

(٨٤) انظر: دليل الماكروبيوتيك إلى الحياة السعيدة، جورج أوساو (ص١٥٠).

(٨٥) انظر: المرجع السابق (ص١٥٦).

(٨٦) كتاب الطاو (ص٤٢).

(٨٧) انظر: الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة، د. عمر عبد الحي (ص٦٣)، الفكر الشرقي، د. يونجشوون كيم (ص١٢١).

(٨٨) المبدأ الفريد، جورج أوساو (ص٦٠-٦١).

(٨٩) انظر: الريكي، جمان السيد (ص١٤).

(٩٠) انظر: حركة العصر الجديد، د.هيفاء الرشيد (ص٤٦٤).

(٩١) والمراد بالجسم الأثيري في اعتقادهم، هو ذلك الجسم الطاقي الذي يحيط بالجسم المادي، ويتكون من ثلاث هالات. انظر: الشفاء بالطاقة الحيوية، د. أحمد توفيق (ص٢٤).

(٩٢) وأصلها (شاكرا –Chakra) وهي كلمة سنسكريتية تعني العجلة.

(٩٣) تعد العناصر الخمسة - عند الطاوية - تقسيمات فرعية لليين يانغ، ومن مجموع تلك العناصر ظهرت جميع الموجودات، بحيث تولَّد كل عنصر من عنصر آخر في دورة لا منتهية. والعناصر الخمسة هي: الماء، والخشب، والنار، والتراب، والمعدن.

(٩٤) انظر: الريكي للمبتدئين، ديفيد إف (ص٢١، ١٦٥).

(٩٥) انظر بداية المبحث السابق.

(٩٦) انظر: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، د. هيفاء الرشيد (ص٢٣١).

(٩٧) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة، د. رفاه وجمان السيد (ص١١).

(٩٨) انظر: حركة العصر الجديد، د.هيفاء الرشيد (ص٢٠٦).

(٩٩) انظر: الكامل في اليوغا، سوامي فشنوديفانندا (ص٣٤٤).

(١٠٠) انظر: المرجع السابق (ص٣٤٩،٢٦٦).

(١٠١) وهم في هذا يوافقون الطاوية، وبوذية التانترا، وبعض الفرق الهندوسية. وهذه الأجسام هي: الجسم الأثيري، الجسم العاطفي، الجسم العقلي، الجسم الكوكبي، جسم القالب الأثيري، الجسم القدسي أو السماوي، الجسم السببي.

(١٠٢) انظر: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، د.هيفاء الرشيد (ص٢٦٧)، الكامل في اليوغا، سوامي فشنوديفانندا (ص٣٧).

(١٠٣) الريكي للمبتدئين، ديفيد إف (ص٢٣).

(١٠٤) انظر: المرجع السابق (ص١٣١).

(١٠٥) انظر: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، د.هيفاء الرشيد (ص٣٠٣) نقلًا عن كتاب: طاقة الكون بين يديك، مها نمور.